

ملاحم الخطاب الإسلامي الموجّه للإرهاب

ك.د. د. تيسير خميس العمر

أستاذ مساعد في كلية الشريعة - جامعة الزرقاء - لأردن

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين،
مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تزدحم الأفكار في هذه الأيام بعد أن تكلم العالم والجاهل، والمغرور
والحاقد في الإرهاب، علماً أن الإرهاب لا دين له ولا وطن، ولا يصح عقلاً
أن ننسب جريمة إرهابية لدين أو أمة، وأن التطرف الديني والتعصب القومي
المصحوب بالتفكير الإجرامي هما المسؤولان عن ارتكاب الجرائم الإرهابية ضد
المدنيين الأبرياء بغض النظر عن مشربهم، ومن المؤكد أيضاً أن هزيمة التفكير
الإرهابي وترسيخ مفهوم التسامح الديني هو مسؤولية العلماء ابتداءً، ومن ثم
كل الحكومات والشعوب؛ لأن الإرهاب له هوية واحدة فقط لا غير وهي
استخدام قتل المدنيين الأبرياء كوسيلة لإرهاب الشعوب والحكومات لتغيير
سياساتها ومفاهيمها التي تدعو للتعايش السلمي العرقي والديني وهو مسلك
مرفوض قانونياً وأخلاقياً فالرأي الآخر المخالف يجب أن يواجه بالمنطق
والحجة ولا يجوز مطلقاً قتل صاحب الرأي الآخر بطرق انتهازية جبانة .

وبعد أن انتزع القرار من أصحاب القرار في أمتنا، فصرنا نعتمد
تصورات وحلولاً عفا عليها الزمن، فكل أطراف السلطة الأساسية، أكدوا
توجيهها مخيفاً نحو الاستحواذ على كل شيء، إما بالتحالف مع السلطة أو مع



عُصَب سلطوية، بشراء الذمم بالمال كل المال وخاصة الفاسد منه، فكانوا يستخدمون عملية الإرهاب، بغرض الارتزاق وكسب المال الحرام على حساب الأمة، وغاب معه الخطاب الشرعي الذي ينير الطريق ويهدي السبيل .

والإسلام محجة بيضاء ليلها كنهها لا يزيغ عنها إلا هالك . وإذا كان تسليط الضوء على أخطاء بعض المسلمين التي تقع منهم، فليس معناه التخلص من الخطأ بخطأ أكبر منه وهو : التساهل والتفريط والانسلاخ من الدين القويم، فالأخطار الفادحة لا يتوقف أثرها على من قام بالفعل وحسب بل إن ذلك قد يمتد إلى الأمة فيهلكها ويمنح بها عن الوسطية التي وصفها الله بها قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...) إن أي خطأ يصدر عن طبيب أو غيره من مزاوي المهن الصحية-مثلاً-؛ لا يُعقل أن يتهم أحدهم الطب بانعدام أثره وإمكانية الاستغناء عن ممارسته، ويطالب بإغلاق الكليات والمعاهد التي تعني بالطب خاصة والتخصصات الصحية الأخرى .

إننا إذ ننزع من الإرهاب فكرته وفلسفته نستطيع عندئذ أن نصيب فيه مقتلاً، ونعطي جرعة من حيث توجيه الخطاب الفاعل لأن الإرهاب هو عمل إجرامي، فالإسلام المعتدل يقدم مفاهيمه للعالم بالطريقة التي ترقى بالإنسان من خلال خطابه المعتدل المتوازن، وتزول حينذاك الإشكالية والخلط الذي نتج عن مفهوم (الوطنية)، التي فرخت الإرهاب من حيث يدري الناس أو لا يدرون؛ لأنه مفهوم حديث ظهر بعد سقوط الخلافة، وتفتت بسببه العالم الإسلامي وانشطر إلى دويلات صغيرة، وهو مصطلح قد



يعمل على إثارة النزعات والعصبية بين أفراد الأمة الواحدة، بعيداً عن رابط الدين والعقيدة .

أسئلة البحث :

- 1 - كيف نستطيع توصيل الخطاب إلى الإرهاب كي يقلع عنه من يمارسه ؟
- 2 - مل الآلية التي يحملها هذا الخطاب حتى يكون فاعلاً ؟
- 3 - ما فحوى الرسالة التي نوجهها لمن يمارس الإرهاب من أجل انتزاع الفلسفة التي يقوم عليها الإرهاب ؟

منهج البحث :

اعتمدنا في البحث الطريقة الاستقرائية الوصفية التحليلية الاستنتاجية، مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب التاريخي الذي له الأثر الكبير في بيان جوانب الموضوع، وقد جاء البحث ضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف الإرهاب والخطاب الإسلامي

المبحث الثاني : ملامح تتجلى في المرسل إليهم

المبحث الثالث : ملامح الرسالة المبعوثة إلى الإرهاب

المبحث الرابع : ملامح مطلوبة في المرسل (صاحب الرسالة)



المبحث الأول : تعريف الإرهاب والخطاب الإسلامي :

أ - تعريف الإرهاب :

الإرهاب لغة :

الإرهاب في اللغة "مصدر"، أرهب، يُرهب، إرهاباً، وهي لفظة تعني: التخويف، وهي في ذاتها ليست محمودة، ولا مذمومة، إلا أن يُعلم معناها عند قائلها، وإلا أن ينظر في آثارها .

رهب : "رهباً" من باب تعب : خاف، والاسم الرَّهْبَةُ، فهو رَاهِبٌ من الله، والله مَرْهُوبٌ، والأصل مرهوب عقابه، والرَّاهِبُ عابد النصارى من ذلك والجمع رُهَبَانٌ، وربما قيل : رَهَائِبٌ وَتَرَهَّبَ الرَّاهِبُ : انقطع للعبادة والرَّهْبَانِيَّةُ من ذلك قال تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾⁽¹⁾

الإرهاب اصطلاحاً :

الإرهاب هو التخويف وليس القتل، ومن قال : إن الإرهاب في الإسلام هو رديف القتل، فهو خاطئ، فقد أمرنا ربنا تعالى أن نرهبه، أي : نخافه، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ ﴾⁽²⁾ كما أمرنا بالاستعداد للعدو الذي يتوقع منه الكيد والحرب، وهذا الاستعداد هو لإرهابه حتى لا نكون لقمة سائغة له إن المدلول الشرعي للإرهاب هو إرهاب العدو وإخافته حتى لا يتجرأ على المسلمين والاعتداء عليهم، وقد جاء ذلك موضحاً في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ



لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿٣﴾، ويستدل من هذه الآية الكريمة أن الإعداد للقوة هو إجراء وقائي وذلك لمنع حصول الحرب والعدوان . لماذا؟ لأن الإعداد للقوة يؤدي إلى التوازن والتكافؤ مع الدول الأخرى، وبالتالي لا تتجرأ أي دولة الاعتداء على دولة الإسلام، فهذا الدين العظيم يمنع العدوان قبل وقوعه، مع التأكيد على أن الإسلام لا يبدأ بالعدوان، فالأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي علاقة سلم لا علاقة حرب، وإن الحرب تعد طارئة وفي حالات استثنائية، وعلى ضوء ذلك يتحقق السلم والسلام من خلال المعاهدات والاتفاقات وحسن الجوار .

التحذير من الإرهاب :

وقد جاءت العقوبة في الإسلام مغلظة لمن أَرهَب الناس وأخافهم، مثل عصابات قطاع الطرق، ومن يفعل مثل فعلهم داخل المدينة، وهؤلاء هم الذين يسعون في الأرض فساداً، وقد حكم الله عليهم بأشد العقوبات كقاً لشهرهم، وحفظاً لأموال الناس ودمائهم وأعراضهم، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣٣) (٤) .

وأبلغ من ذلك : أن الإسلام حرّم على المسلم إخافة أخيه، ولو مازحاً، فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (لَا



يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لِأَعْبَاءٍ وَلَا جَادًّا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيُرْذَهَا إِلَيْهِ
(5).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَتَمَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ
بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلِ مَعَهُ، فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَرَعَ، فَضَحَكَ الْقَوْمُ،
فَقَالَ : مَا يُضْحِكُكُمْ؟، فَقَالُوا : لَا، إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَرَعَ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا) (6).

الإرهاب في الإسلام نوعان :

النوع الأول : إرهاب ممدوح :

وهو تخويف العدو خشية اعتدائه على المسلمين، واحتلال ديارهم،
ويكون ذلك بالاستعداد الكامل بالتسلح بالإيمان، والوحدة، والسلاح، وقد
سبق في آية الأنفال ما يوضح أنه واجب على المسلمين . والإسلام ليس
بدعاً في هذا الأمر، فهذا هي الدول تتسابق في الصناعات العسكرية، وفي
التسلح بالأسلحة التدميرية، وبإنشاء الجيوش الجرارة، وبعمل الاستعراضات
العسكرية لجنودها وأسلحتها، وكل ذلك من أجل إظهار قوتها؛ لإخافة
جيرانها، وأعدائها، من أن تسول لهم أنفسهم الاعتداء عليها .

النوع الثاني : إرهاب مذموم :

وهو تخويف من لا يستحق التخويف، من المسلمين، ومن غيرهم من
أصحاب الدماء المعصومة، كالمعاهدين، والمستأمنين، وأهل الذمة .



وقد عرّف "المجمع الفقهي الإسلامي" الإرهاب بأنه : "العدوان الذي يمارسه أفراد، أو جماعات، أو دول، بغياً على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف، والأذى، والتهديد، والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراية، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف، أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي، فردي، أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، أو أحوالهم، للخطر، ومن صنوفه : إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق، والأموال العامة، أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية، للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض، التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها في قوله : ﴿وَلَا تَبْغِ

الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) ﴿٧٧﴾ (٧)

2 - تعريف الخطاب الإسلامي وأصول مرجعياته :

الخطاب في اللغة : الخطاب مشتق من الفعل (خطب) ويأتي على عدة معانٍ، منها : الخطب وهو الشأن، أو الأمر؛ صغر، أو عظم، الخطب : الذي يخطب المرأة، وهي خطبة، خطّاب : كثير التصرف في الخطب (٨).

الخطاب اصطلاحاً : بالنظر في المعاني اللغوية السابقة يظهر أن المعنى المناسب للخطاب هو الشأن، أو الأمر، وهو مراجعة الكلام، يقال قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً والمخاطبة مفاعلة من الخطاب .



نستطيع القول "بأنّ الخطاب : لون من ألوان القول، يحشد له الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير في سامعيه، وجذبهم بما سوق من الحجج، والبراهين المقنعة)"

فالخطاب هو : إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب يعني وعاء الأفكار.

وبناءً على ذلك، فإننا نستطيع أن نقول إنّ الخطاب الإسلامي هو الإطار الأوسع للدعوة الإسلامية بالمفهوم العميق والشامل .

ويمكننا أن نعرف الخطاب الإسلامي تعريفاً أولياً بأنه : "الخطاب الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول القرآن والسنة، وأيّ من سائر الفروع الإسلامية الأخرى، سواء أكان منتج الخطاب جماعة إسلامية، أم مؤسسة دعوية رسمية، أو أهلية، أم أفراداً متفرقين جمعهم الاستناد للدين وأصوله مرجعية لرؤاهم وأطروحاتهم، ولإدارة الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية التي يحيوها، أو للتفاعل مع دوائر الهويات القطرية، أو الأممية، أو دوائر الحركة الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها.

وقد ورد لفظ الخطاب في عدة مواضع في القرآن الكريم منها :

(1) - قوله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ (٢٠) ﴿٩﴾



(2) - قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٦٣) (10)

(3) - قوله تعالى : ﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (٣٧) (11)

والحقيقة التي لا مرأى فيها هو أن وجهات النظر قد اختلفت، فمن وجهة نظر المتخصصين يرون أن الخطاب الإسلامي :

- 1 - إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب أو وعاء الأفكار.
- 2 - كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب ونفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها .

الخطاب الإسلامي : هو ما يطرحه العلماء والدعاة والمنتسبون إلى المؤسسات الإسلامية في بيان الإسلام والشرعية، سواء كان ذلك من خلال الخطاب أو المحاضرات أو التأليف أو البرامج الإسلامية الأخرى، وقد يدخل في ذلك المناهج الدراسية الدينية في المدارس والجامعات الشرعية بل يمكن أن يوسع مفهوم الخطاب ليشمل النشاط الإسلامي والدعوة وعمل الجماعات الإسلامية والمؤسسات العلمية والدعوية .

المفهوم الحديث للخطاب :



الخطاب هو اصطلاح فلسفي يعني : المنهج أو الطريقة التي يفكر بها فلان من الناس، وهو أيضا تصوره في التعبير عن آرائه وأفكاره ومعتقداته ."

وقد دخل هذا المفهوم إلى الفكر الإنساني عامة، وتعددت أنواع الخطاب فهناك : الخطاب الديني، الخطاب السياسي، والخطاب الثقافي، والخطاب الإعلامي، والخطاب الفني، والخطاب الرسمي، والخطاب الشعبي ...

وبناء على ما سبق فإننا نقول أن الخطاب العربي الإسلامي معناه : الطريقة أو الوسيلة أو المنهاج الذي يستخدمه العرب والمسلمون لإيصال حقائق دينهم، وصدق أفكارهم، وصحيح تصوراتهم وآراءهم، ومواقفهم من الآخرين .

يتسع مفهوم الخطاب الإسلامي عند بعض دارسيه ليشمل كل مجالات الإنتاج الفكري والفقه للمسلمين، أي كل ما عدا النص الموحى به، من جهد معرفي يتمحور حول هذا النص . كما يضيق عند فريق آخر ليتخصص فقط في طرق تقديم الإسلام وفكر الإسلام إلى العالم كله مسلميه وغيرهم، وهو بهذا المعنى الأخير، يقتات على علوم ستة، محددة هي : "تحليل الخطاب" و"علم الخطاب" و"نظرية التواصل" و"النظرية التداولية" و"علم البلاغة" و"لسانيات النص" .

المبحث الثاني : ملامح تتجلى في المرسل إليهم :



تميز منهج الإرهاب عبر التاريخ بالتشدد والإفراط، فتعسفوا في تأويل الآيات القرآنية، وكفروا المجتمع الإسلامي وأفراده في الغالب، وخرجوا على المسلمين، ونالت أيديهم المسلمين بالأذية، فكان ذلك مصداقاً لما جاء في حديث ((ذي الخويصرة)) من بيان نبوي، ويمكن إجمال منهجهم فيما يلي :

أولاً- الفهم الخاطئ للقرآن الكريم :

بين ذلك قول النبي ﷺ: ((يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم)) أي يقرؤون القرآن قراءة لا يتفقهون فيها، ولا يعرفون مقاصد القرآن منها، فانحرف منهم، وهذا ما عبر عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بقوله : ((فإنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين))

فهم جهلة بمقاصد القرآن، ومرامي نصوصه، وما يتبع من قواعد في الاجتهاد واستنباط الأحكام، وفي معرفة العام من الخاص، والمقيد من المطلق، والمفصل من المجمع، والمحكم من المنسوخ...

فتحكيم الغلاة لفهمهم القاصر هو الأساس والقاعدة، قال علي رضي الله عنه للخوارج: ((فإن أبيت إلا أن تزعموا أي أخطأت وضللت، فلم تُضلّلون عامة الأمة أمة أمّة محمد ﷺ بضاللي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفرونهم بذنوبي، سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنّب بمن لم يذنّب))

وفي التاريخ نجد أن الفهم الخاطئ قد انصب فساداً على الخوارج (الغلاة) أنفسهم، ومزقهم شر ممزق، فاكتووا بناره، كما اكتوى به المجتمع،



فهذا (ابن أبي الحديد) يحدثنا كيف استطاع (المهلب)⁽¹²⁾ بذكائه أن يستعمل هذه الصفة عند الخوارج فيشتت شملهم ويقضي عليهم، وفيما يلي الأمثلة :

روى ابن أبي الحديد : أن حداداً من (الأزارقة)⁽¹³⁾ كان يعمل نصالاً مسمومة، فيؤمى بها أصحاب المهلب، فرفع ذلك المهلب، فقال : أنا أكفيكموه إن شاء الله، فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكري (قطري)، فقال له: ألق هذا الكتاب، في العسكر والدراهم، واحذر على نفسك - وكان الحداد يقال له أبزى - فمضى الرجل، وكان في الكتاب : أما بعد، فإن نصالك قد وصلت إلي، وقد وجهت إليك بألف دينار، فوقع الكتاب، في يد قطري، فدعا الحداد، فقال : ما هذا الكتاب؟ فقال: لا أدري، قال : ممن هذه الدراهم؟ قال: لا أعلم بها، فأمر به فقتل، فجاء (عبد ربه الصغير) مولى (ابن قيس بن ثعلبة) فقال : قتلت رجلاً على غير ثقة وبيّنة، فقال: قطري، فما حال الألف؟ قال يجوز أن أمرها كذباً، ويجوز أن يكون حقاً، فقال قطري : إن قُتل رجل فيه صلاح غير منكر، للإمام أن يحكم بما يراه صالحاً، وليس للرعية أن تعترض، فتنكر له جماعة وإن لم يفارقوه⁽¹⁴⁾.

ثانياً- التكفير :

التكفير هو السمة الغالبة التي بسببها تفاقم الإرهاب قديماً وحديثاً، إذ يكفرون المسلمين، ويعتبرون المجتمع الإسلامي مجتمع كفر، وأفراده كفرة، وقد يصلون أحياناً إلى استباحة دماء وأموال المسلمين، وفكر الغلاة الإرهابي - عبر التاريخ في الماضي والحاضر - هو امتداد لما كان عليه الخوارج والغلاة في



عصر متقدم من عصور الإسلام، وسواء أثبتنا الصلة بين الغلاة قديماً وحديثاً، أم فصلناها فإن النتيجة واحدة .

والتكفير هو النتيجة الحتمية المترتبة على ما سبق ذكره، من أن الغلاة يفهمون القرآن فهماً خاطئاً، ويتأولون آياته تأويلاً فاسداً، فقد استحلوا دماء المسلمين بتكفيرهم، ونصبوا أنفسهم حماة للشرع الذي بنوا اعتقادهم فيه على أسس فاسدة، وتقربوا بدماء المسلمين - كما يدعون- إلى الله تعالى، فمزقوا المجتمع من الداخل، وأعانوا الأعداء في الخارج، فأضعفوا الأمة .

ثالثاً- عداؤهم للمجتمع الإسلامي :

قال رسول الله ﷺ محمداً هذه الصفة فيهم : ((يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)) لقد توجهت سيوف الغلاة إلى نحور المسلمين، وانصب جام غضبهم عليهم، والأمثلة واضحة عبر التاريخ، فمن طريف أخبارهم، أنهم أصابوا في طريقهم إلى النهروان مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم، وأبقوا النصراني، لأن المسلم عندهم كافر وكفره طارئ وهذا لا توبة عندهم فيه والنصراني كفره أصلي له ذمة وأمان، فاستوصوا بالنصراني خيراً، وقالوا : أحفظوا ذمة نبيكم .

رابعاً - نفسية مريضة لا تطيق التفاصيل ولا تفهم السياسة الشرعية :

الإرهاب تشوه فكري ناتج عن تركيبة نفسية معينة: نفسية، مغلقة، جاهلة، متغترسة، متكبرة، متعجرفة، متشنجة، طائشة، لا ترى إلا نفسها،



ومن على رأيها، والباقي ليس مخطئاً، أو مجتهداً، أو فيه خير ناقص، بل كافر بائع للدين أو ضال مبدل للمنهج حائد عن العدل .

نفسية تسمح لرجل أسلم منذ يومين ولا قدم له ولا سابقة (ذو الخويصرة) أن يقول لرسول الله ﷺ (اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله) وترى نفسها أولى بالدين وأغیر عليه منه ومن السابقين الأولين حوله الذين سكتوا عن الظلم في القسمة

لكن المعجز هو قراءة النبي - ﷺ - لهذه الخريطة العقلية والنفسية، وما سوف يتولد عنها بمجرد كلمة (اعدل) في اعتراض على أمر من السياسة الشرعية لم يحتمله، ولم يفهم مقصده ذلك الرجل المغالي .

طبقة تتولد من طبقة تطيح بالكبار، لذا غالباً ما تكون جديدة لا جذور لها (أحداث الأسنان) خرجوا في جيش علي - ﷺ - وقلبوا ظهر المجن لطبقة الصحابة، والذين هم أساتذتهم، وفي كل فترة تتولد طبقة أخرى؛ لأن كبر السن يعطي شيئاً من العقل ويحدّ من الطيش؛ فلا يلبي رغبات المتحمسين .

عقول تقيس بالجملة ولا تطبق التفصيل ولا تدرك الفروق، سألت امرأة السيدة عائشة ما بال الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة ... لا تدرك الفرق .. فقالت السيدة عائشة أحرورية أنت ؟

خامساً - يعتنون بالشعارات ولا يعتبرون بالمضامين والمقاصد :



صدق فيهم الأثر الشريف "يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان" أو "يضرب برها وفاجرها"...

نستشعر بعض هذه الصفات - للأسف - عند كثير ممن سلك سبيل الإرهاب من غلاة العصر بداياتها موجودة، عند كثير منهم لكنها، لا تظهر إلا إذا أشهر السيف كما قال شيخ الإسلام أن آثار هذا الغلو لا تظهر إلا إذا توفر لها ظرف إشهار السيف .

مشكلة الإرهاب أنه لا يسمح لك بالتعاون معه، ولا يريدك أن تحسبه عليك، هو يبرأ منك، وينابذك، ويقول لك أنا وأنا وحدي وكلكم أهل ضلال وكفر، وتبديل وتغيير ولا سبيل لك إلا أن تنزل تحت رايتي بمنهجي، ولا خير فيك لأتعاون معك .

المبحث الثالث : ملاحم الرسالة المبعوثة إلى الإرهاب :

لا يخفى على أحد ما تواجهه الأمة الإسلامية، من حرب عالمية شاملة لا يماري فيها عاقل، ولا يأمن مغبتها من يشاهد ملاحمها، ويدرك بواعثها، ويدري دارية صحيحة بالسنن الإلهية التي بموجبها قامت، وبموجبها يحصل الظفر، أو المزيد من الانكسار للأمة، وأبرز أسباب ضعف الأمة، وتسلط أعدائها عليها هو ضعف إيمانها

ولن تنتسم نسيم المجد والتمكين، إلا إذا عملت على زيادة الإيمان، وتقويته في النفوس : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ⁽¹⁵⁾، وهناك معوقات كثيرة تحول دون تقوية الإيمان من الانحرافات العلمية والعملية، ومن تلك



الانحرافات "الإرهاب" الذي يبعث على العديد من الأمراض التي تضعف الإيمان، لقد حملت نصوص الكتاب والسنة رسالة واضحة إلى الإرهاب وهي تتلخص فيما يلي :

أولاً - التأكيد على طبيعة هذه الرسالة مبنية على (الصراط المستقيم) :

إلزام جميع أفراد الأمة أن تقرأ في كل ركعة من صلاتها هذا الدعاء العظيم من سورة الفاتحة : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ٧ ﴾⁽¹⁶⁾ والصراط المستقيم هو : ما جمع خمسة أوصاف : أن يكون طريقاً مستقيماً، سهلاً، مسلوفاً، واسعاً، موصلاً إلى المقصود، فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطاً، ولا الصعب المشق، ولا المسدود غير الموصل، فهذا الدعاء يتضمن تجنب طريق الإرهاب والغلو، وطريق الجفاء، والهداية إلى ما هو وسط بينهما .

ثانياً - وسطية الرسالة التي تحملها الأمة :

من معالم هذه الرسالة :

1- وصف الله سبحانه الأمة بالوسطية : وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۝ ١٧ ﴾⁽¹⁷⁾

والوسطية لها معان كثيرة، ولكن من أشهرها وأليقها يبحثنا : الاعتدال والتوسط بين الإفراط والتفريط⁽¹⁸⁾، كما اختار ذلك شيخ المفسرين الإمام الطبري - رحمه الله -، وفي ذلك غاية التأكيد على أن الأمة الإسلامية



بعيدة عن الإرهاب، كما هي بعيدة عن الجفاء، وذلك من أعظم ركائز خيريتها .

2- النهي عن تعدي حدود الله، وذلك في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٣٩) ، والحدود هي النهايات لكل ما يجوز من الأمور المباحة المأمور بها، وغير المأمور بها تعديها هو تجاوزها، وعدم الوقوف عليها .

3- الابتعاد عن الغلو عند أهل الكتاب يتعدى إلى المسلمين لأن النهي الموجه إلى أهل الكتاب كون العلة فيه قائمة، والآثار المترتبة على غلوهم موجودة، وفاعلة في هذه الأمة: وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١٧١) ، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٧٧) ، وهناك نصوص قرآنية أخرى يمكن الاستدلال بها على النهي عن الغلو تركتها للاختصار .

وكما نهى القرآن عن الغلو؛ لأنه طريق الإرهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأساليب مختلفة كذلك منها :



بيان مصير الغالي وعاقبته، وأن مصيره الهلاك : كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : ((هلك المتنطعون)) قالها ثلاثاً، قال النووي - رحمه الله - : " أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم " (22) .

ثالثاً - رسالة اليسر و رفع الحج :

الإخبار عن طبيعة هذا الدين، وأنه يسر، وإنه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه : كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : ((إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)) (23)، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : "والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز، وانقطع فيغلب، قال ابن المنير : في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع " . لنشاهد معاً هذه الصورة :

قال رسول الله ﷺ : ((إنما أتألفهم))، فأقبل رجل غائر العينين، ناتئ الجبين، كث اللحية، مشرق الوجنتين، مخلوق الرأس، فقال : يا مُحَمَّد اتق الله، فقال النبي - ﷺ - : ((فمن يطع الله إذا عصيته؟ أفيأمنني على أهل الأرض، ولا تأمنوني))؟ فسأل رجل من القوم قتله - أراه خالد بن الوليد - فمنعه النبي - ﷺ - ، فلما ولى قال النبي - ﷺ - : ((إن من ضئضئ هذا قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من



الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد⁽²⁴⁾.

فترى النبي - ﷺ - هنا عندما ظهر الغلو من هذا الرجل في نظره إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وحكمه عليه، استغلّ المناسبة فحذر منه، وممن على شاكلته ممن سيأتي في المستقبل مبيناً مدى غلوهم الذي به يمرقون من الدين، وأشار إلى ما يجب إزاءهم من الموقف الصلب الذي يصل إلى قتلهم؛ وذلك لأن الدرجة التي وصلوا إليها من الغلو لا يجدي فيها الجدل، والدفع بالتي هي أحسن، وفي نفس الوقت أبي أن يقابل الغلو بغلو مثله حين سئل الإذن بقتله، وهذا غاية العدل، وإن من اشتط وغلا فإن مقابله لا بد أن تكون بالعدل .

رابعاً - لا نتشدد في مواجهتهم والرد عليهم، كما تشددوا هم في الابتداء

أثره على الأمة فهذه النصوص القرآنية والنبوية ظاهرة الدلالة على قبح الإرهاب وخطورته، وعظيم ، وأن ذلك الأثر لا يقتصر على جانب من الجوانب، بل هو شامل لجوانب متعددة: فهو يفسد البلاد، وينحرف بالعاد عن وضعهم الصحيح، ويخل بالنظر إلى الآخرين، ويؤدي إلى الظلم في الحكم عليهم، ويدفع أصحابه إلى اتخاذ مواقف عدائية جائرة من إخوانهم المسلمين، ومن غير المسلمين .

خامساً - اتباع السلف - رحمهم الله - ومن تبعهم من العلماء لانتهاج الاعتدال :



ظهرت في عهد النبي - ﷺ - بعض ملامح الغلو الذي أدى إلى التطرف والإرهاب على تصرفات بعض الصحابة، وهي في العبادة والمبالغة فيها غالباً، فبادر من رآه منهم إلى إنكارها، ثم ذكروها للرسول الله صلى عليه وسلم فأيد من أنكرها :

من ذلك قصة سلمان الفارسي وأبي الدرداء - رضي الله عنهما - حينما آخى بينهما النبي صلى عليه وسلم، فرأى سلمان أم الدرداء مبتذلة، فسألها عن ذلك، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال له: كل، قال: إني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأثنى النبي - ﷺ -، فذكر ذلك له، فقال له النبي - ﷺ -: ((صدق سلمان))⁽²⁵⁾

وهكذا حينما أحس عمرو بن العاص بمبالغة ابنه عبد الله في العبادة، وعدم التفاته إلى زوجته التي زوجه إياها، وحاوله أن يرجع عن ذلك، فلم يفعل عبد الله حتى ذكر ذلك للنبي - ﷺ - فاستدعاه، وبين له ما هو الأفضل في العبادة، من الصلاة، والصوم، وقراءة القرآن، وكيف يجمع بين ذلك وبين أداء حق أهله .



وبعد وفاة النبي - ﷺ -، وانتشار الإسلام، ودخول الأمم في دين الله وتحمل الكثير مما كانت عليه مجتمعاتها : من عقائد، وعادات، وسلوك، خيف ظهور الغلو في هذه الأمة، فقاوم الصحابة ذلك مقاومة كبيرة، وكان من أبرزهم في ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إبان خلافته، وله مواقف مشهورة في ذلك منها :

أ) إنكاره على من يتتبع آثار الرسول الله - ﷺ -، والمواضع التي تعبد فيها، فعن المعرور بن سويد - رحمه الله - قال : "خرجنا مع عمر بن الخطاب فعرض لنا في بعض الطريق مسجد فابتدره الناس يصلون فيه، فقال عمر: ما شأنهم؟ فقالوا: هذا مسجد صلى فيه رسول الله - ﷺ -، فقال عمر: أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا، حتى أحدثوها بيعاً، فمن عرضت له فيه صلاة فليصل، ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض".

ب) موقفه عندما قبل الحجر الأسود، ثم توجه إليه قائلاً: "إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله - ﷺ - يقبلك ما قبلتك".

ولعلي - رضي الله عنه - مواقف عظيمة في محاربة الغلو، لم تقتصر على مجرد الكلام، إنما تعدت إلى الفعال، بل إلى القتل والقتال: فحينما ظهرت السبئية الغالية، وأدعوا فيه الألوهية، حاورهم ونصحهم لعلهم يرجعون عن مقاتلتهم، فلما يئس من ذلك حرّقهم بالنار، وقال مقالته المشهورة :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً *** أججت ناري ودعوت قنبرا



ونحو ذلك فعل مع الخوارج الغلاة، حينما ظهر غلوهم وأعلنوا الخروج على جماعة المسلمين، واستباحة دماء مخالفيهم، وبعد أن انسد باب الحوار معهم، قاتلهم حتى كاد أن يفتنيهم، ومعه الصحابة، وكبار التابعين، مع أنه لم يكفرهم، بل حينما سئل : أكفارٌ هم؟ قال: "من الكفر قُرُّوا."

سادساً - دواعي ومبررات الوقوف في وجه الإرهاب و توجيه رسالة خاصة بهم :

أ- أنه السبب الرئيس للفرقة، والنزاع، وظهور الفرق المختلفة التي يكفر بعضها بعضاً، ويضلل بعضها بعضاً، وينشغل بعضها بمحاربة البعض الآخر عن جهاد العداء، والعمل على نشر الدين، وبناء حضارته، وتوسيع كيانه .

ب - إنه الباب الذي دخل منه المغرضون، والمتآمرون على هدم الإسلام من داخله، فعبد الله بن سبأ اليهودي دخل من بابه فأسس عليه نحلة الرفض التي لا تضاهيها في كثرة بدعها، وشدة نيلها من الإسلام نحلة أخرى، وعيبد الله القداح دخل منه كذلك، وأسس الباطنية ذلك الخنجر المسموم الذي غرز في جنب الأمة الإسلامية فاستمر نزيفه القاتل إلى اليوم، ولم يقف عند باطنية الشيعة.

ج - إنه السبب في تكفير الأمة، واستحلال دمائها، وأمواها، كما هو الشأن في الخوارج في الماضي والغلاة في العصر الحاضر.

د - إنه سبب الخسارة التي أصابت الأفراد في عقائدهم، وأعمالهم فقد أهلكوا أنفسهم، وعطلوا طاقاتهم، واحتقروا عمل سواهم، ولو كان من أفضل الأعمال، وسمع إلى أحدهم وهو يعنف الإمام مالكاً، ويعاتبه أن أضاع وقته



وجهدته في حفظ الحديث ونشره، ولم يتفرغ لإصلاح نفسه وتزكيتها بالعبادة،
ظاناً أن العبادة ما هي إلا قيام الليل، وصيام النهار، ومداومة الذكر، فرد
عليه الإمام العالم المدرك لحقيقة العبادة وشموليتها بقوله :

"إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم
يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر
فتح له في الجهاد، ونشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي،
وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كالنا على خير".

سابعاً - أدوات توجيه الخطاب إلى الإرهاب :

الوحي والشرع وأدواتنا ولا أدوات أعدائنا ولا الهوى المستحكم
إذ كان مصدر محاربة الإرهاب اليوم ليس هو الشرع والوحي المعصوم، وإنما
الهوى المستحكم، وإرادة أعداء الدين الذين يعملون أساساً على خلط
المفاهيم وقلب الحقائق : فأغفلوا اللفظ الشرعي (للإرهاب) واستبدلوه بلفظ
محدث، عبروا عنه بأدواتهم، وهو لا يساوي المفهوم الشرعي مساواة كاملة،
بل إنه يزيد عليه، حيث يشمل من ابتعد عن الوسط وسلك الطرف، أي كان
هذا الطرف، سواء طرف الغلو، أو طرف الجفاء والتساهل، وهذا التحريف
ليس هو الأسوأ، لكن الأسوأ منه أنه لم يستعمل إلا في نوع واحد من أنواع
الإرهاب : وهو العنف في معاملة الناس، والنظر إليهم، والحكم عليهم،
وأسقط ما عداه من الإرهاب من القائمة، وتناسوا إرهاب الدول و المجازر
التي يرتكبها الأقوياء .



وأقبح من ذلك أن يجعلوا من الإرهاب ما هو أساس في الشرع، وأصل الدين، فالجهاد من حيث هو، بل من حيث التلفظ به إرهاب، والبراءة من الكفار، بل الكفر بالطاغوت الذي لا إسلام إلا به، هو كذلك من الإرهاب في المفهوم المعاصر للإرهاب، بل على مستوى العبادة فالحزم فيها، والإتيان بها كما شرعها رسول الله - ﷺ - إرهاب، والحجاب، والتفريق بين الرجال والنساء غير المحارم .. وهكذا، وهذا التحريف لمفهوم الإرهاب من أخطر المؤامرات التي استطاع الأعداء أن يوقعوا في شراكها الكثير من قادة الفكر المسلمين، وآثارها لا حصر لها، إن لم يتدارك علماء هذه الأمة، ويحرروا المفاهيم الصحيحة، ويشيعوها بين الناس، ويربوهم عليها، ويكشفوا زيف المفاهيم الدخيلة، والمخرقة، ويكشفوها للناس، ويحذروهم منها

المبحث الرابع : ملامح مطلوبة في المرسل (صاحب الرسالة) :

على حامل الرسالة إلى الإرهاب أن يتعرف على الحدود الضرورية للخطاب، والمعرفة بعلوم إن جهلها، يستحيل معها نجاح خطابه، إذا لم يأخذ بها، فحري بالخطاب الإسلامي في زمن العولمة والاستضعاف في أن ينجو من مطبات التبرص الاستكباري، فأحرى أن يؤدي وظيفته البيانية، لذا يجب على حامل الخطاب الإسلامي ما يلي :

أولاً - استخدام علم البلاغة التي هي انتماء للذات :
إن أبسط ما تعلمنا في الأدب أن البلاغة هي "مطابقة الكلام لمقتضى الحال". فهل من احترام "مقتضى الحال الاستمرار مثلاً في استخدام



المصطلحات التي يستخدمها الجميع ولا سيما الأعداء من وصفهم بالمصطلحات التي يستخدمونها : إرهاب، أصولية، ظلامية فهل يستقيم أن نستخدم هذه المصطلحات وننسى الإجرام الذي في سورية والعراق واليمن والخليج وإيران...؟

ثم يأتي تصريح أحد المسؤولين الإسرائيليين يعبر فيه عن تخوفه من الدول الإسلامية ليعطي إشارة لشباب المسلمين بأنهم يهددون الكيان الصهيوني ، وهذا الأسلوب الذي استعملته مع حزب الله الشيعي، وهو في حقيقة الأمر حارس لحدود إسرائيل . ملاحظات عن ممارسات الخطاب في المجتمع وتأثيرها من قبيل الالتماس أو الإقناع أو التحريض. إن اللغة ليست مجرد انعكاس لظروف اجتماعية، إنها تصنع هذه الظروف إلى حد ما، وتهيئ لنوع من التعامل معها

وإن أخطر ما في الخطاب، هو الشق غير المنطوق، أي ما يسميه الأصوليون "دلالة اللزوم"، فحين تأمر "بغلق الباب"، فالأهم من هذا الأمر، هو دلالة على أن "الباب مفتوح"، وأهم منه أنك تؤثر على حالة صحية (نزلة برد أو حالة أمنية مسارة لشخص للبوح بسر أو حالة نفسية الخوف من الدخيل .

وفي الغالب ما يتجاهل ممارسو هذا الخطاب هذه الحقيقة، هذا إن لم يكونوا يجهلونها، فحين يقول أحد زعمائهم، أن مقامه ببريطانيا رغم كفر أهلها، هو من باب الضرورة كالدخول إلى بيت الخلاء، ويتلفظ بهذا التشبيه في التلفزيون البريطاني، تتهزج جوانب الرأي العام لهذه الجهالة، اهتزازا يكلف الوجود الإسلامي ببريطانيا، بل والإسلام نفسه غالبا .



"تلاعب الخطاب الإعلامي بالعقول". وما أحوج دعاة الإسلام اليوم إلى إتقان هذا العلم، والاطلاع على كتب هؤلاء وأمثالهم، وهم أكثر في الغرب ممن تخصصوا في كشف العلاقة بين اللغة والسياسة، وحساسيات الخطاب الإعلامي في تداخله بالأعيب البلاغة المدججة بالمصطلحات المنحوتة والمفاهيم المصنوعة بدقة ماهرة .

ثانياً - أن يكون عالماً بالخطاب المعاصر :

الذي هو انتماء للعصر ومدركاً لتفاعل عناصر الخطاب : المرسل، الرسالة، المرسل إليه، وإن أبسط ما نتعلم من علم الخطاب المعاصر، هو نظرية الوظائف اللغوية الستة لرومان ياكبسون، والتي تُنبه منتج الخطاب إلى ست وظائف للغة، غالباً ما لا ينتبه إلا لواحدة منها، وهي :

1 - "الوظيفة المرجعية" المتعلقة بمضمون الخطاب :

أما الوظائف الخمس الأخرى، والتي قد تكون آثارها سلبية إن لم ينتبه لوجودها، والتي قد تعلق ببال المتلقي وتؤثر فيه أكثر، فغالباً ما لا يفقهها هؤلاء الدعاة وهي :

الوظيفة الانفعالية .

والوظيفة الشعرية .

والوظيفة الإيعازية .

والوظيفة الفوق - لغوية.



والوظيفة اللّغوية.

وهذه الوظائف الست تنتج من تفاعل عناصر التواصل الخطابي الثلاث: المرسل-الرسالة-المرسل إليه. على سبيل المقارنة : نماذج مضيئة مما يزيد المرء أسى، أن يغفل من يياهون بالسلف، عن نجاحات السلف الصالح رضوان الله عليهم، فيما فشلوا هم فيه فشلا ذريعا، لأنهم مارسوا عكسه تماما. إن من نماذج الخطاب الإسلامي الموفق بل الباهر، خطاب جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي، بين يدي حاشيته ووفد قريش، والذي كان فتحا للمسلمين في تلك البلاد. ولا بأس أن نعرض مقطعا مهما منه، ينسخ ما أثقلنا به من نماذج سلبية :

" قال جعفر بن أبي طالب، وكان هو المتكلم عن المسلمين : أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوى الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله ، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا



نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخرناك على من سواك، ورجعنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي : فاقرأه على، فقرأ عليه صدرًا من: ﴿كَهَيَّعَ سَاقِفْتَهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مُصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمُ النِّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مَشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا، فَلَا وَاللَّهِ لَا أَسْلَمُهُمَ إِلَيْكُمَا، وَلَا يَكَادُونَ يَخَاطِبُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَصَاحِبَهُ فَخَرَجَا، فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ : وَاللَّهِ لَا آتِيَنِي غَدًا عَنْهُمْ بِمَا أَسْتَأْصِلُ بِهِ خُضْرَاءَهُمْ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ : لَا تَفْعَلْ، فَإِنْ لَهُمْ أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا، وَلَكِنْ أَصْرُ عَمْرُو عَلَى رَأْيِهِ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ لِلنِّجَاشِيِّ : أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمُ النِّجَاشِي يَسْأَلُهُمْ عَنْ قَوْلِهِمْ فِي الْمَسِيحِ فَفَزَعُوا، وَلَكِنْ أَجْمَعُوا عَلَى الصَّدَقِ، كَائِنًا مَا كَانَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَسأَلَهُمْ، قَالَ لَهُ جَعْفَرُ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِينَا ﷺ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ .

فأخذ النجاشي عودًا من الأرض ثم قال : والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقه، فقال : وَإِنْ نَحَرْتُمُ وَاللَّهِ . ثم قال للمسلمين : اذهبوا فأنتم شُيُومٌ بأرضي والشيوم: الآمنون بلسان



الحبشة من سَبَّكُمْ غَرَمَ، من سَبَّكُمْ غَرَمَ، من سَبَّكُمْ غَرَمَ، ما أحب أن لي ذَبْرًا من ذهب وإني آذيت رجلاً منكم والدبر: الجبل بلسان الحبشة " ولنلاحظ الذكاء المنهجي المتكامل في الخطاب الذي تسليح به جعفر بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد قسم حديثه إلى أربعة أقسام فاعلة على وجازتها، وأحسن فيها كلها أحسن :

- 1 - عرض "الرسالة"،
- 2 - وأحسن عرض "المظلمة"،
- 3 - وأحسن عرض "الاستجارة"،
- 4 - وأخيرا أحسن عرض "الاستشهاد" بآيات تمس وتر المسيحي مسا آسرا لحديثها الشجي عن زكرياء ويحيى ومريم وعيسى .
- 5 - لكن الإحسان الأكبر قبل هذا كله - كان حسن اختيار المخاطب الذي يتلقى بالإيجاب هذا الإتقان الباهر، وهو الاختيار النبوي "للرجل العادل"!

وقد كان تلقائيا وطبيعيا بعد هذا الانجاز الناجح، أن تأتي الاستجابة إيجابا لا سلبا: فشل السفارة القرشية، والتمكين للمستضعفين في أرض المهجر الحبشية! ولا يعني في شيء، حسن اختيار جعفر الطيار للمواضيع الموافقة لحس المخاطب، أن يحرف الحقيقة أو يسقط في المداينة والنفاق. فحين استطاع سفير قريش الداهية عمرو بن العاص أن يثير النقطة الحساسة في الخلاف المسيحي-الإسلامي، فيما يتعلق بطبيعة المسيح، لم يجد جعفر الطيار بدا من ذكر الحقيقة، ومن القرآن نفسه . ولكن الله سلم لأن الصدق مع اللطف يوصلان إلى النجاة.



ولو شئنا بعد استعراض هذا النموذج الباهر، وعلى هداه، أن نكتشف حجم الانتكاس الذي يعاينه الخطاب الإسلامي المعاصر، عند بعض الدعاة الفاشلين، والذي هو نقيض هذا الإنجاز الجعفري المتميز، لأوردنا على سبيل المثال ما حكاه جيفري لانغ، عالم الرياضيات الأمريكي العظيم، من جامعة شيكاغو، الذي هداه الله إلى الإسلام بعد معاناة فكرية ونفسية تأملية عميقة، سجلها في كتابه المتميز : "الصراع من أجل الإيمان".

إذ ذكر أنه في مرحلة الصراع النفسي الحرج بين ماضيه الإلحادي وإقباله على الإسلام، وهو يقرأ كل ليلة في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، وتعذبه الأسئلة كما تحيره الأجوبة، وجد نفسه ذات يوم يذرع أروقة الجامعة بحثاً عن مسلم يساعده على تلمس طريقه، فأرشدوه إلى غرفة صغيرة في زاوية نائية، يصلي فيها بعض الطلبة المسلمين المنتمين للجامعة، فدخل عليهم متلهفا يسألهم أن يشرحوا له الإسلام، فإذا بهم يشيرون إلى أحدهم وهو طالب آسيوي، يقوم بدور الإمام والمرشد تطوعاً لدى هذه المجموعة الصغيرة. لكن الصدمة التي كادت أن تصرف جيفري لانغ عن الإسلام لولا لطف الله وجديته في البحث، وتقدمه في الاحتكاك بالقرآن، أن "الإمام" شرع فوراً يشرح له "كيف يعذب الله الكفار في قبورهم!" ولا يحتاج المرء إلى كبير ذكاء ولا قليل علم بالخطاب، كي يقارن بين عظمة الاختيار للقضايا التي طرحها جعفر الطيار، وبين بؤس هذا الاختيار. نموذج تطبيقي .



ثالثاً - أن يستحضر المعنى الشرعي والحضاري للقيم الإسلامية عند إنشائه للخطاب :

وسعيًا إلى المنحى التطبيقي، أقترح نموذجًا موجزا لحامل الخطاب الإسلامي الجامع أن :

- أ - ينأى عن الخلافات والخرافات والجزئيات والإسرائيليات .
- ب - يجاني النزعات المذهبية والطائفية والإقليمية والعرقية .
- ج - يتجنب التعصب والإغراق الذاتي أو الإغراق التغريبي .
- د - ويصلح لمخاطبة المسلمين وغير المسلمين.
- هـ - تقوم فيه الفروع على الأصول وتترتب فيه الأولويات :

1- عقيدة -2- شريعة -3- أخلاق -4- أبعاد حضارية .

وهذه الرسالة تقوم على ما يلي :

1 - دينُ الخضوعِ لله الواحد الأحد، الكبير المتعال، فله وحده التسليم والخضوع، ولا مجالَ لطاغوتٍ حَجري ولا بشري، أن يتسلط على عباده، لِيَدِينُوا لأهوائه ومصالحه بالخضوع والقربان. فالناسُ سواسيةٌ كأسنان المشط، رَفَعَ دينُ التوحيدِ رؤوسهم في وجه التسلط والاستعباد، فلا كهنوت ولا استبداد .

2 - دينُ "إقرأ"، القائم على العقل، والقائد إلى العلم، والمعتمد على المنطق والاستدلال . الحُجَّةُ فيه عمدة، والعقلُ فيه مُقَدَّم، والتأملُ فيه عبادة، والتفكيرُ فيه فريضة، الشعارُ فيه : إن كنت ناقلًا فالصحة، وإن كنت مُدَّعِيًا فالدليل؛ لا قطيعةً فيه، ولا وساطةً بين الحق والخلق عنده، ولا امتيازَ لطبقة دينية أو سياسية تنوب عن



بقية العباد في التفكير والتقرير، أو تحتكر دونهم حق الاتصال بالنص المقدس، أو امتياز تأويله وفهمه .

3- دينُ تكريم الإنسان، بالأدمية والحرية والمسؤولية والعقل والتكليف. اصطفاه الله لخلافته في الأرض، وجعله سيداً للكون، وسخر له ما فيه من نعم وإمكانات، يوظفها بالقصد، دون تبذير ولا احتكار، ودون إنهاك للبيئة أو ظلم لحقّ المخلوقات فيها

هذا التكريم يلزم بصون حرمة الإنسان: دمه وماله وعرضه، وضمان حريته في الاعتقاد والاختلاف والتفكير والاجتهاد. شعاره : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟) ؛ ومبدؤه : " حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة البيت الحرام " .

4 - دين السلام والحب والتعاون والتسامح والرحمة والانفتاح والحوار والاختلاف المشروع . فهو الذي يُصدّر موقفه من الديانات السابقة بمبدأ " التّضديد " قبل مبدأ " الهيمنة " : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: 48] ، وهي فقط هيمنة استيعاب وتسديد لا هيمنة إقصاء وإنكار. وهو الذي يدعو إلى أقصى درجات البر والإحسان بالمخالف والصفح والعفو عن المسيء، إلا في حالة العدوان القسوى وهي " القتال في الدين والإخراج من الديار " . وماذا بعد الإبادة



المادية والمعنوية يتعرض لها المسلم، فتوجب عليه المقاومة والقتال لصد المعتدي الحاقق؟

5- هذا ديننا، دين الحق الهدي إلى الخلق. دين جميع الأنبياء من آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. دين الله الواحد، والقبلة الواحدة، والمهدف الواحد: إسعاد البشرية "بالحُدى والثِّفاء والنور والبرهان". دين توحيد بلا كهنوت، وإيمان بلا خرافة، وجهاد بلا إرهاب، وعقل بلا إحاد، ودعوة بلا تنفير، وتدين بلا تطرف، والتزام بلا تحجر، وسلام بلا استسلام، واختلاف بلا خلاف، وهوية بلا إقصاء، وحوار بلا تمييز، وانفتاح بلا ضياع، وتعدد بلا تبدد .

دين عقل وقلب، دنيا وآخرة، روح ومادة، شورى وطاعة، شرع وواقع. إنه دين عمل الخير وخير العمل: الدنيا فيه مزرعة الآخرة، والعبادة فيه طريق الحضارة، والمادة في خدمة الروح. الخير فيه شراكة بين الناس، والعقل فيه دليل الإيمان، ورضوان الله فيه يُنال بخدمة عباده صالحين أو طالحين. أو ليس هو دين ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾⁽²⁶⁾، هذا هو الإسلام، ولا إسلام سواه، فإن تَوَهَّم مُتَوَهَّم غَيْرَهُ، فإنما ذلك، بانتحال المبطلين، أو تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين وربما بإغراض المغرضين! بهذا الفهم تلقى الله، وهو وحده الموفق والهادي إلى سواء السبيل .



الخاتمة :

إن تفعيل الخطاب الموجه إلى الإرهاب يحتاج إلى وضع خطة ممنهجة متكاملة للوقاية من الإرهاب بأنواعه كافة، ووضع خطة يتعاون فيها الجميع، علماء وعامة وقادة وشعوباً، تتضافر فيه الجهود، والتعاون مع المجتمع الدولي في مجال مكافحته، والشروع في فض النزاعات الإقليمية ورعاية التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتطبيق معايير الحكم الرشيد .

ولابد في هذا المجال من القيام بعمل دؤوب، من أجل تعزيز التضامن الإسلامي، ومساعدة الدول الفقيرة، ومساندتها في خططها الاقتصادية؛ للحد من الفقر والبطالة باعتبارهما مما يزعزع الاستقرار، ويشجع المنظمات الإرهابية على استغلال الظروف السيئة للشباب، وإنشاء مراكز أبحاث متخصصة في مكافحة الإرهاب، تقوم بجمع المعلومات عن الأفعال الإرهابية، وتحليلها، وتبادلها بين الأجهزة المعنية، وإخضاع المتهمين بالإرهاب إلى دراسات علمية تقف على الأسباب الحقيقية المفضية إلى هذا الانحراف، وتقوم بدور المناصحة، الذي يحدد معالمه الخطاب المعتدل.

والتوصل إلى عمل دولي من الأهمية بمكان، حتى تتضافر الجهود العالمية من أجل استصدار قرارات تجرم ازدياد الأديان والتعدي على رموزها، حتى لا تعطي أصحاب الفكر الإرهابي ذريعة لأعمالهم .



إن خير من يقوم بدعم الخطاب المعتدل المؤسسات الدعوية، فمن الواجب إفساح المجال لها للقيام بواجبها في توعية الشباب، وحفظهم من الشرود والجنوح باتجاه الإرهاب فهذه المراكز تعمل على تعظيم الثوابت، والالتزام بأداب الاختلاف والحوار، وعدم التساهل والتسرع في التكفير والتبديع والتفسيق، ونشر القيم الإسلامية، واستثمار المخزون الثقافي للأمة .

ولا بد في النهاية من لفت النظر إلى المناهج التربوية، من حيث إدراج مواد في مناهج التعليم تركز على التسامح والعدالة والسلام، وتحريم الظلم، ونبذ العنف، وحرمة الدماء وترشيد مناهج التربية والتعليم بما يتوافق مع عقيدة الأمة وثوابتها، وعلاج ضعف المؤسسات التعليمية في المجتمعات الإسلامية، وتعزيز قدرتها على الوقاية من الفكر المضلل، ودرء الانحراف السلوكي والفكري، وتحويل المعرفة إلى سلوك مؤثر في شخصية النشء .

وإن ننسى فلا ننسى توظيف الإعلام الجديد وأدواته في نشر الوعي بين شرائح المجتمع -ولاسيما الشباب- بمخاطر التعامل مع المواقع التي تشجع على الإرهاب وتمويله والانحراط في صفوفه، ومراجعة ما تتضمنه مناهج التعليم في العالم من مضامين خاطئة أو مغلوطة عن الإسلام، والعمل على تصحيحها .

من خلال من سبق نستطيع أن نستخلص النتائج التالية :

- 1 - الإرهاب لا دين له ولا وطن ولا زمن، ويعتبر من الأمراض التي تصيب الأفراد والمجتمعات والأمم وهي أمراض وأعراض لها علاجها .



- 2 - أسباب الإرهاب متنوعة (دينية، سياسية، اقتصادية، تربوية، ثقافية، اجتماعية، شخصية ..) ومتداخلة، وهي في غالبيتها انحراف فكري .
- 3- العلاقة بين الانحراف الفكري والإرهاب علاقة طردية ، فكلما زاد الانحراف الفكري زاد الإرهاب فالفكر المنحرف في أي أمة هو البيئة الخصبة لانتشار الإرهاب.
- 4 - الأسرة، والجامعة، والمدرسة، والمسجد من أبرز المؤثرات المهمة في تعزيز الأمن للوقاية من الانحراف والإرهاب .
- 5 - ملامح الخطاب تشمل الرسالة ومن يحمل هذه الرسالة، ومن تصل إليه هذه الرسالة، وهي منضبطة بمنهج الوحي كي تؤدي أكلها .
- 6- لا بد من تطوير أنظمة التعليم ونشر الثقافة المعتدلة البعيدة عن العنف والإرهاب في المجتمع.
- 7- إعطاء العلماء دورهم الحقيقي في توجيه شرائح المجتمع؛ لمعالجة ظاهرة الإرهاب بصورة نقية واقعية بعيدة عن الانحراف .
- 8- إصلاح الخطاب الديني المتشدد المخالف للكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليكون أكثر فاعلية في معالجة أسباب الانحراف الفكري، لدى أبناء المجتمع .
- 9- الاهتمام بالإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بما يكفل تلبية طموحات المواطنين ، ويضمن تحقيق الاستقرار السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي.

تمت بحمد الله .



الحواشي والهوامش

- (1) لمصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دراسة وتحقيق يوسف الشيخ محمد، مادة رهب، المكتبة العصرية، (د.ت.).
- (2) البقرة : 40
- (3) الأنفال : 60
- (4) المائدة : 33.
- (5) رواه الترمذي، 2160، وأبو داود 5003، وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي"
- (6) رواه أحمد 2306، واللفظ له وأبو داود، 4351، وصححه الألباني في "صحيح أبي داود"
- (7) القصص : 77
- (8) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مادة (خطب)، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربي .
- (9) ص: 20
- (10) الفرقان: 63
- (11) هود : 37
- (12) المهلب بن أبي صفرة، 628-702م، قائد مشهور، ناصر عبد الله بن الزبير ثم تابع عبد الملك بن مروان بالخلافة، فسلطه على الخوارج فاستطاع بدائه أن يضعف شوكتهم ويبددهم. الموسوعة الثقافية، د. حسين سعيد ، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1972، ص 654 .



- (13) فرقة من فرق الخوارج، سميت باسم زعيمها نافع بن الأزرق، مينة بيطار "الأزارقة"، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية السورية، دمشق.
- (14) مُجد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص69، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 401/1
- (15) الرعد : 11
- (16) الفاتحة : 6- 7
- (17) البقرة : 143
- (18) الطبري، جامع البيان، 3 / 242
- (19) البقرة : 229
- (20) النساء : 171
- (21) المائدة : 77
- (22) صحيح مسلم، 4 / 47 كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون، حديث رقم 2670
- (23) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب الدين يسر، ج1
- (24) البخاري، صحيح البخاري، 4321
- (25) صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب صنع الطعام والتكلف للضيف .
- (26) العصر : 3